العقيدة الطحاوية (٢)

الدرس الثالث

فضيلة الشيخ/ د. فهد الفهيد

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمدُ للهِ والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله، وعلى آله وأصحابه، ومَن اهتدى بهداه، مرحبًا بكم أيُّها الإخوة الكرام في الدَّرسِ الثَّالث من دروسِ العقيدة الطَّحاويَّة في الأكاديميَّة العلميَّة، نسأل الله -جلَّ وعلا- أن يوفقنا وإيَّاكم للعلمِ النَّافعِ والعملِ الصَّالح، ونُرحِّبُ بالإخوة الكرام، ويبدأ أخونا الشيخ سعيد يقرأ؛ فليتفضَّل -بارك الله فيه.

{بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلهِ وصحبهِ وسلَّم، اللهمَّ اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين وللمستمعين، ولجميع المسلمين.

قال أبو جعفر الطَّحاوي -رحمه الله تعالى: (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ)}.

هذه الجُمَلُ الثلاث جملٌ عظيمةٌ، وتحتاجُ إلى وقفةٍ عند كلٍّ منها، نبدأ بالجملة الأولى، وهي قول الطَّحاوي -رحمه الله: (وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ).

العرشُ ذكرَه اللهُ -عزَّ وجلَّ- في مواضعَ كثيرةٍ مِن كتابِه -سُبحَانَه وتَعَالَى- وجاء في سُنَّة النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ووصفه الله -عزَّ وجلَّ- بأوصافٍ عظيمةٍ:

- وَصَفَ اللهُ العرش بأنَّه العرش المجيد ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥].

- ووصَفَه اللهُ -عزَّ وجلَّ- بأنَّه العظيم.

- وقالَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- في وصْفِ نفسِه -سُبحَانَه وتَعَالَى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥].

- وذَكَرَ أنَّ هذا العرشَ العظيمَ تحملُه الملائكة، أربعةٌ في الدُّنيا -كما ثبتَ في السُنَّة[1]- ويومُ القيامة ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

- ووصف بأنَّه العرش الكريم في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وهكذا جاء في سُنَّة النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- مِن وصفِهِ بأنَّه الكريم، وأنَّه العرشُ العظيمُ.

وبيَّنَ الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- أنَّه استوى على العرش بعدما خلقَ السَّماواتِ والأرضَ، في سبعِ مواضعٍ من كتاب الله -عزَّ وجلَّ: في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۛ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

وهذه الآيات تدلُّ على إثباتِ صفةِ العلوِّ لله -سُبحَانَه وتَعَالَى- فالعرشُ هو سقفُ المخلوقاتِ، وأعلَى المخلوقاتِ، كما قال النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ»[2]، فالعرش فوق المخلوقات.

والله فوق العرش، وهو مُستغنٍ عَن العرشِ وما دونَه، الله -عزَّ وجلَّ- لما استوى العرشِ ليسَ لحاجتِه -سبحانه- فإنَّ الله غنيٌّ عن العرشِ، وغنيٌّ عن خلقِه كلِّهم؛ بل العرش ومَن دونَ العرشِ مُحتاجون إلى الله، مُفتقِرون إلى اللهِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

---

[1] جاء في لفظ الحديث: فينزِلُ تبارك وتعالى يَحمِلُ عرشَه يومئذٍ ثمانيةٌ، وهمُ اليومَ أربعةٌ"، أخرجه ابن أبي الدنيا في ((الأهوال)) (١٥٥)، ومحمد بن نصر المروزي في ((تعظيم قدر الصلاة)) (٢٧٣)، والطبري في ((تفسيره)) (٤٩٣٩) واللفظ له، وضعفه ابن حجر والزيلعي.

وعند أحمد في مسنده وصححه أحمد شاكر (٨٨/٤):" أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ صَدَّقَ أُميةَ في شيءٍ من شِعْرِهِ فقال:

رجلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يمينِه ** والنسرُ للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ .

فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "صَدَقَ"، وقال:

والشمسُ تطلعُ كلَّ آخرِ ليلةٍ ** حمراءَ يُصبحُ لونُها يَتَوَرَّدُ

تَأْبَى فما تطلعُ لنا في رِسلِها ** إلا معذَّبةً وإلا تُجْلَدُ .

فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "صَدَقَ". [أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٦/١)، والدارمي في سننه كتاب الإستئذان (٢٩٦/٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٦/٢-٢٠٧، رقم٧٧١)، وأورده ابن كثير في النهاية (١٢/١)، وقال: [حديث صحيح الإسناد، ورجاله ثقات] وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة].

وهذا القول رجحه ابن كثير [تفسير ابن كثير (٧١/٤)]، وابن الجوزي [زاد المسير (٢٠٨/٧)]، وقال هو قول الجمهور [زاد المسير (٣٥٠/٨)] ويستدل لهذا القول بعدة أدلة منها ما رواه الطبري بسنده عن ابن إسحاق قال: بلغنا أن رسول لله صلى الله عليه وسلم قال: «هم اليوم أربعة» يعني حملة العرش «وإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية» [انظر تفسير الطبري (٥٩/٢٩)].

[2] صححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج ٣ / ص ٤٩).

وفي لُغةِ العرب: العرش هو سرير الملك، وعرش الله لا يُوصَف، ولا يَبلغ العباد حقيقته وَكُنْهَهُ؛ لأنَّ الله –عزَّ وجلَّ– لم يذكر لنا صِفة العرش وهيئتِه، وإنَّما وُصِفَ بالصِّفات التي سَبق ذكرها، أنَّه عرشٌ عظيمٌ، وأنَّه كريمٌ، وأنَّه مجيدٌ، ونحو ذلك؛ لكن كيفيَّة هذا العرش لا نعلمها، لكنَّه أعظم من المخلوقات كلِّها.

وكان النَّبيّ –صلى الله عليه وسلم– يقول في دعاء الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»[٣].

فالعرشُ أعظم المخلوقات، وهو أعظم من الكرسيِّ، فالكرسيُّ أيضًا أعظمِ مِن السَّماواتِ والأرضِ، وجاءَ في الأثرِ عن السَّلف أنَّ الكرسي هو: "موضع القدمين"[٤]، والعرش لا يقدر قدره إلا الله –سُبحَانَه وتَعَالَى.

أمَّا تفسيرُ الكرسيِّ بالعلم؛ فهذا فيه نظرٌ، فإنَّ الكرسيَّ غير العلم، فالعلمُ صفةُ ربِّنا –سُبحَانَه وتَعَالَى– فالله بكلِّ شيءٍ عليمٍ، والكرسيُّ جاء في سُنَّة النَّبيِّ –صلى الله عليه وسلم– أنَّه «مَا السَّمَوَاتُ السَّبعُ فِي الْكُرْسِيِّ إلا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلاةٍ»[٥]، أيشٍ تمثِّل الحلقة الملقاة في صحراء عظيمة؟ لا تمثِّل شيئًا، فالكرسي من السَّماوات والأرض كالفارِق بينَ الصَّحراء العظيمة إذا أُلقيَ فيها حلقَة؛ شيءٌ يسيرٌ جدًّا لا يكاد يُذكر، هكذا السَّماوت مقارنةً بالكرسيِّ، والعرشُ أعظم من الكرسيِّ، ولا يَقدِرُ قَدْرَه إلا الله –سُبحَانَه وتَعَالَى.

والله خلقَ السَّماواتِ، وخلقَ الأرضين، وخلقَ العرشَ، وخلقَ الكرسيَّ، واللهُ خالقُ كلِّ شيء؛ وكلُّ هذا يدلُّ على عظيم قدرةِ الله، وعظيمِ خلقِه، وبديعِ صنعِه –سُبحَانَه وتَعَالَى– وهذه الأمور توجب للمؤمنِ تعظيمَ الله –سُبحَانَه وتَعَالَى– فالمؤمنُ يؤمنُ بما جاءَ في النُّصوصِ الشَّرعيَّة، ويؤمنُ بعظمةِ هذه المخلوقات التي عظمتها تدلُّ على عظمةِ خالِقِها –جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه سُبحَانَه وتَعَالَى.

كيفَ هيئةُ العرشِ وكيفَ هيئةُ الكرسيِّ؟

---

[٣] صحيح البخاري (٥٨٩٧).

[٤] رواه الطبراني في المعجم الكبير، قال: عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ سورة البقرة آية ٢٥٥ ، قَالَ :" مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ . قَالَ : وَلا يُقَدَّرُ قَدْرَ عَرْشِهِ" . قال ابن عثيمين:"صح ذلك عن ابن عباس موقوفاً ومثل هذا له حكم الرفع" (تفسير سورة الفاتحة والبقرة ٣/٢٥٤).

[٥] أخرجه الطبري في ((تاريخه)) (٩/١٢٠)، وابن حبان (٣٦١) مطولاً، والبيهقي في ((الأسماء والصفات)) (٨٦١)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٩).

نقولُ: لا يَعلمُ ذلك إلا الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- وقد أخفى الله -عزَّ وجلَّ- هذا الخلق، فلا يجوز للإنسان أن يَخوضَ بغيرِ علمٍ، ولا أن يتكلَّم فيما لم يُحط به علمًا ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فمَن آمن بذلك وأقرَّ بذلك علم غلطَ الغالِطين الذين قالوا: إنَّ العرش كنايةٌ عن الملكِ؛ فهذا غلطٌ وتحريفٌ للنُّصوصِ الشَّرعيَّة، ولا يجوز؛ لأنَّ هذا مِن مَسالكِ أهلِ الأهواءِ والبدعِ، ولا يجوزُ لطالبِ العلمِ ولا لكلِّ مسلمٍ أن يُتابع أهلَ البدعِ، بل عليه أن يُتابع الصَّحابة والسَّلفَ الصَّالح -رضي الله عنهم ورحمهم.

كذلك بعضُ النَّاس يُحرِّف الكلمَ عن مَواضعه، فيقول: إنَّ الله لم يستوِ على العرشِ، فينفي ما أثبتَه الله لنفسِهِ.

أو يقول: إنَّ الاستواءَ هو الاستيلاءُ.

وهذا مِن تحريفاتِ أهلِ البدع أيضًا، فالاستواءُ على العرشِ عندَ علماءِ أهلِ السُنَّة والجماعة هو: العلو، استوى على العرش، أي: علا.

وجاءت تفسير عُلماءِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ لكلمة ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بأربعةِ معانٍ:

المعنى الأوَّل: علا على العرشِ.

والمعنى الثَّاني: ارتفَعَ على العرشِ.

والمعنى الثَّالث: صَعَدَ على العرشِ.

والمعنى الرَّابع: استقرَّ على العرشِ.

هذا منقولٌ عن علماءِ السَّلفِ -رحمة الله عليهم- فلا نتعدَّى طريقتَهم، ولا نبتدعُ في دينِ الله، ولا نأخذُ بطرائقِ أهلِ البدعِ ونتركَ أئمَّةَ أهلِ السُنَّة مِن أصحاب النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- والتَّابعين لهم بإحسانٍ، فليكن طالبَ العلمِ على حذرٍ من أن تُزلُقَ قدمَه مع أهلِ الأهواءِ والبدعِ.

هذا -أيُّها الإخوة الكرام- العرشُ، وجاءت فيه أخبارٌ عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- ومنها: قوله -صلى الله عليه وسلم: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ»[٦]، وهذا في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه.

وجاء في السُنَّة أنَّ العرش له قوائم، ففي الصَّحيح قال النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم: «النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ»[٧]، وهذا الحديث في صحيح البخاري ومسلم.

الشَّاهد منه، قوله: «آخذ بقائمة من قوائم العرش»، وهذا يدلُّ على أنَّ العرشَ له قوائم. هذا مِن النُّصوص الواردة.

أيضًا جاء في أوصافِ حَمَلةِ العرشِ مَا يَدلُّ على عظمتهم -وهم الملائكة.

فالمقصودُ: أنَّ هذا العرشَ عرشٌ عظيمٌ، استوى الله علي -سُبحَانَه وتَعَالَى- بعد أن خلقَ السَّماواتِ والأرضَ في ستَّةِ أيَّام، ثمَّ استوى على العرشِ، وهذا استواءٌ يليق بجلالِه، ليسَ كاستواءِ المخلوقِ، فمَن شبَّه اللهَ بخلقِهِ فقد كفرَ، ومَن نفَى ما وصَفَ الله به نفسَه، فقد كذَّبَ خَبَرَ الله، ومَن كذَّبَ خبرَ الله فقد كفر، فالمؤمن يقول: سمعنا وآمنَّا وأطعنَا؛ فيؤمن بما أخبر الله -عزَّ وجلَّ- ولا يتعدَّى القرآنَ والحديثَ وطريقةَ أصحَابِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم.

هذا ما يتعلَّق بتفسيرِ معنى العرش والمراد به، وهو الذي وردَ في كتابِ الله، وسُنَّة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ووصفَه بأنَّه عظيمٌ ومجيدٌ وكريمٌ، وله قوائم، وأنَّ اللهَ استوى عليه، وأنَّه أعظم المخلوقاتِ، وأنَّه فوقَ الجَنَّة، وسقفُ الجَنَّة.

كيف هو؟

اللهُ أعلم، الكيفيَّةُ لا ندري ما هي، لم نطَّلِعَ على ذلك، ولم يُطلِعنا الله على ذلك، ولم يخبرنا الله -عزَّ وجلَّ- بكيفيَّة هذا المخلوق العظيم.

والكرسيُّ معناه: موضع القدمين، كما نُقِلَ عن السَّلف. وأمَّا مَن فسَّره بالعلم، فعلم الله حقٌّ، لكن تفسير الكرسي بالعلمِ فيه نظرٌ؛ لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ

---

[٦] صحيح البخاري (٢٧٩٠).

[٧] أخرجه البخاري (٦٩١٧) واللفظ له، ومسلم (٢٣٧٤).

وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فتفسيره بالعلم هنا فيه نظرٌ؛ لأنَّ الكرسيَّ مِن مخلوقاتِ اللهِ العظيمة وهو دونَ العرشِ كما جاءَ في الأحاديثِ عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم.

{(وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ)}.

(وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ).

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العالمين﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الحج: ٦٤]، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فمِن أسماء الله الحسنى: الغني.

ومَن الذي يُمسك السَّماواتِ والأرضَ أن تزولا وأن تسقطَ السَّماءَ على الأرضِ؟ الله -عزَّ وجلَّ- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١]، "إنْ" هنا للنفي، معناه: أنَّ -عزَّ وجلَّ- هو الذي خلقَ هذه المخلوقات، وهو الذي أقامها، وهو الذي بقدرته وقوَّته وبديع صنعه أمسكَها أن تسقطَ، وكذلك العرش، وكذلك الكرسي، وكذلك سائر المخلوقات، فالله هو الحي القيوم، ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

أمَّا مَن زعَمَ أنَّ الله احتاج إلى العرش؛ فهذا قول كُفر -نسأل الله العافية والسَّلامة.

انتبه! ما مِن أحدٍ مِن أهلِ العلمِ ولا مِن أهلِ السُّنَّةِ يقول هذا، إنَّما يَظنُّ هذا أهلُ سوءِ الظَّنِّ مِن أهلِ الأهواءِ والبدعِ، وربَّما سوء ظنِّهم حمَّلوه النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ، وحمَّلوا كلامَ أهلِ العلم ما لم يحتمل، وزعموا أنَّ هذا قولُ أهلِ العلم، ولم يقل بهذا مسلم فضلًا عن عالم.

انظر إلى السَّحاب، أليس فوقَ الأرض؟ هل الأرضُ تحمِله؟

انظر إلى السَّماء فوقَ السَّحاب وفوقَ الأرض، هل الأرضُ تحملُ السَّماء؟

فالله -جلَّ وعلا- فوقَ العرشِ، وهو غنيٌّ عن العرشِ وما دونِه، قال: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ)، هذا ليُبطل الظَّنَّ الفاسدَ، ولهذا قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة في الواسطيَّة:"فمَن ظنَّ أنَّ السماء تُقلُّه -أي تحمل الله- أو تُظلُّه، فهذا ضالٌّ" لم يقل بهذا مسلم، ولا يقول بهذا مسلم، ولم يدلّ القرآن والسُّنَّة على هذا، فالله غنيٌّ عن العرشِ، وغنيٌّ عن السَّماء، وغنيٌّ عن الخلقِ أجمعين.

فانتبهوا من هذه المقالات الفاسدة، وليعلم المؤمن أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- أكبر، وهذا معنى قولك "الله أكبر"، واللهُ هو العظيمُ، واللهُ هو الغنيُّ، والله له الأسماءُ الحسنى والصِّفات العُلا، فلا يُقاس على خلقِه، ولا تُضرَب له الأمثال -سُبحَانَه وتَعَالَى.

السَّماوات كلُّها والأرض كلُّها في جانبِ الكرسيِّ شيءٌ يسيرٌ، والكرسيُّ في جانبِ العرشِ شيءٌ يسيرٌ، كلُّ هذه المخلوقات بما فيها -حتى العرش- هي شيءٌ يسيرٌ في عظمةِ الرَّبِّ -سُبحَانَه وتَعَالَى- فهذا يجعلُك تعظِّم الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- وتَقدُرُه، ولا تكن من الكفَّار الذين قال الله عنهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبحَانَه وتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

هذا -أيُّها الإخوة- معنى قوله -رحمه الله: (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ)، والله هو الغني الحميد.

فإذا كان الأمر بهذه المثابة؛ فهل يَليق بمؤمنٍ أن يَعصيَ اللهَ -عزَّ وجلَّ- وأن يُجاهرَ بالمعاصي؟ وأن يستكبرَ عن أوامرِ الله؟

الجواب: لا، المؤمنُ يعرفُ ضعفَه، ويعرفُ فقرَه، ويعرفُ حاجتَه إلى الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- وأنَّ الله فوقه يراه، ولا تخفى عليه خافية، فيخافُ مِن الله ويُعظِّمه -سُبحَانَه وتَعَالَى.

والملائكةُ يُعظِّمون الله -عزَّ وجلَّ- قال الله عنهم: ﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، فالملائكةُ تَفزع تعظيمًا لله، وخوفًا لله، فأنتَ أولى بهذا أيُّها المؤمن، أن تخافَ مِن الله -عزَّ وجلَّ- وأن تَقدرَه حقَّ قدرِه، ولا تكن مِن الكافرين الذين قال الله عنهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، هذه السَّماوات على اتِّساعها ليست بشيءٍ أمامَ عظمةِ الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- والأرض أصغر بالنِّسبة للسَّماءِ، وأنتَ كم تُمثِّل بالنِّسبة للأرضِ؟ لا شيء! فكيف تستكبرُ على الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- وتعصيه؟!

فهذه الأمور توجب تعظيمَ الله والخوفَ منه، والثِّقةَ به، ورجاءَ فضله، والتَّوكُّلَ عليه، وحسنَ الظَّنِّ به، فالأمورُ بيدِه، مَن الذي بيده مقاليد السَّماوات والأرض؟ مَن الذي يُحيي ويُميت؟ مَن الذي يُدبِّرُ أمرَ الكون؟

إنَّه الله جل جلاله وتقدَّست أسماؤه.

أمَّا المخلوقون فلا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا فضلًا عن غيرهم، وهذا يدعو المؤمنَ إلى توحيدِ اللهِ -سُبحَانَه وتَعَالَى- وإخلاصِ العبادةِ له، وألا يتعلَّقَ بالأمواتِ، فمِن أعجبِ العجبِ، ومِن أضلِّ الضَّلالِ أنَّ رجلًا عاقلًا يأتي إلى الأمواتِ ويستغيث بهم، ويطلب منهم المدد، وهم أموات! وينسى خالق الأرض والسَّماوات!

كل هذا يدلُّ على عَظيمِ الإعراضِ عن الله -عزَّ وجلَّ- عندَ المشركِ، ولهذا أضلُّ النَّاسِ هو المشركُ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } [الأحقاف ٥، ٦].

{(مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ)}.

هنا جملتان:

الجملة الأولى: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ)، الدَّليل: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦]، فالله -عزَّ وجلَّ- محيطٌ بخلقِه إحاطة علمٍ، يعلم كلَّ شيء سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل عمران ٥، ٦]، إحاطةُ العلمِ.

وإحاطةُ السَّمعِ فالله ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وإحاطةُ البصرِ، فالله لا تخفى عليه خافية ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، سُبحَانَه وتَعَالَى، تقول عائشة -رضي الله عنها: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو زَوْجَهَا، فَكَانَ يَخْفَى عَلَيَّ كَلامُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾"[٨]، هذا يدلُّ على إحاطة الله بخلقه.

وهذا فيه جانبٌ مهمٌّ، وهو: الإنسان حتى ولو كان في مكانٍ بعيد وفي مكانٍ غربةٍ ولا أحد حوله؛ فإنَّ الله يسمَعه ويراه ويستجيبَ دعاءه، ومِن ذلكَ ما وَقعَ ليونس بن متَّى -ذي النُّون- ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

[٨] أخرجه ابن ماجة (١٨٨)،والنسائي (٣٤٦٠) ،وأحمد (٢٤١٩٥)، وأخرجه البخاري معلقا قبل (٧٣٨٦)

وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء ٨٧، ٨٨]؛ لأنَّ بعضَ دعاةِ الشِّرك وغلاةِ الصُّوفيَّة يقولون: هذا للأنبياء فقط، إذا دَعوا الله استجاب لهم، أمَّا المذنبون فلابدَّ لهم مِن واسطة، فيذهبون إلى أصحابِ القبورِ، والأولياءِ، والأوتادِ، والأقطابِ، حتى يكونون واسطة بينهم وبين الله في الدُّعاء!

فالرَّدُّ عليهم من القرآن هنا: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

فالله بكلِّ شيءٍ محيط، وهذا يجعل العبدَ يتوكَّلُ على الله، ويثقُ في الله، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، الإيمانُ ولو قلَّ فإنَّ الله يعلمُه، ولا تخفَى عليه خافية -سُبحَانَه وتَعَالَى- وهذا يُقوِّي علاقتَك معَ اللهِ -سُبحَانَه وتَعَالَى.

هل الله -عزَّ وجلَّ- حالٌّ في خلقه؟

لا، اللهُ فوقَ عرشه، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، لكن هو محيطٌ بخلقِه، يحيطُ بهم فيعلم أحوالَهم، ويسمعُ كلامَهم، ويرى مكانَهم، ويعلمُ ما تُخفيه صُدُورُهم ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧] -سُبحَانَه وتَعَالَى.

ويُنقَل أثرٌ عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- حبرُ القرآن أنَّه قال: "مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِمَا فِي يَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ"[٩]. الخردلة: هذا الشَّيء الذي يَطيرُ في الهواء لخفَّتِه ورقَّتِه وصِغَرِه ودقَّته، وهو شيءٌ يسيرٌ تراه في شعاعِ الشَّمسِ، فالخردلة هذه إذا وضعتها في يدك لا تكادُ تراها مِن صغرها.

فيقول: "مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِمَا فِي يَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ"، وهذا ليسَ تمثيلًا، فإنَّ الله ليسَ كمثله شيء، وإنَّما أرادَ ابنُ عباس أن يُبيِّن عظمةَ الله -سُبحَانَه وتَعَالَى.

والأمرُ عظيمٌ جدًّا، فإذا آمنتَ أنَّ الله بكلِّ شيءٍ محيط؛ أورثَك هذا تعظيمَ الله، والخوفَ منه، ورجاءَه، وحسنَ الظَّنِّ به، وعرفتَ ضعفَك، وعرفتَ حاجتَك إلى اللهِ -سُبحَانَه وتَعَالَى- فلا تستكبر على الله، ولا تعصِ الله، وإذا وقعتَ في معصيةٍ فبادر إلى التَّوبة، فهذا معنى قوله: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ).

---

[٩] موقوف على ابن عباس، رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٩٨٥)، ابن تيمية في المجموع (ص٤٢).

إذن؛ هل معنى الإحاطةُ أنَّ الله حالٌّ في المخلوقات؟

الجواب: لا، الله -عزَّ وجلَّ- ليس حالٌّ في المخلوقات، بل بائنٌ منها؛ لأنَّه فوقَها، وفوقَ العرشِ.

مَن الذين يقولون: إنَّ الله حالٌّ في المخلوقات؟

هؤلاء الحلوليَّة، وهم كفَّار عندَ علماءِ السَّلف، قالوا: مَن قالَ إنَّ الله حالٌّ في خلقه ومختلطٌ بخلقِه فهو كافرٌ"، لأنَّ هذا أعظم التَّنقُّص لله -عزَّ وجلَّ- وتكذيبٌ للنُّصوصِ الشَّرعيَّة، وتكذيبٌ لِما أخبرَ الله به وأخبرَ به رسوله -صلى الله عليه وسلم. هذه مسألةُ الإحاطة، فالله محيط بكلِّ شيء.

ننتقل إلى الجملة التي بعدها، وهي: (وَفَوْقَهُ)، يعني: فوقَ كلِّ شيء، فهذا معنى الجملة، وهذه مسألة العُلو، وسبق أن أشرنا إلى مسألة الاستواءِ، فالاستواء على العرشِ وَردَ في سبعِ مواضع في القرآن: في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة طه، وفي سورة الحديد، وفي سورة الفرقان، وفي سورة السَّجدة؛ كلُّ هذه السُّور وردَ فيها إثبات استواء الله على عرشه، وتقدَّم شرح معنى الاستواء.

أمَّا هنا الفوقيَّة وهي العلو، وهذه المسألةُ مسألةٌ عظيمةٌ، جليلةُ القدرِ، دلَّت عليها نصوصُ القرآن الصَّريحة، وأحاديثُ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- الصَّحيحة المتواترة، وأجمعَ عليها علماءُ السَّلفِ من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسانٍ، وخالفَ في هذه المسألة أعداء الله -الجهميَّة والمعطِّلة- ومَن اتَّبعهم في إنكارِ فوقيَّة الله -عزَّ وجلَّ- فوقَ خلقِه، وخالفوا الأحاديث الصَّريحة الصَّحيحة عن النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وخالَفوا الإجماعَات المتواترة عن أهلِ العلمِ، وإذا أردتَّ الوقوفَ على هذه الإجماعات فارجع إلى كتاب"اجتماعِ الجيوش الإسلامية على غزو المعطِّلة والجهميَّة" لابن القيم الجوزية، فقد حكّى إجماعات أهلِ العلمِ، وتواترَ أقوالِهم على إثباتِ علو الله على عرشه وعلى خلقه، وأنَّه مستوٍ على عرشه.

فمسألة العُلوِّ مَسألةٌ ظاهرةٌ جدًّا في الكتاب والسُّنَّة، ودلائلُ القرآن والسُّنَّة عليها كثيرة، كذلك دَلَّ عليها العقلُ، والفطرة السَّليمة تدلُّ على علوِّ الله -سُبحَانَه وتَعَالَى- على خلقِه، حتى أنَّ بعضَ العلماء قال:"إنَّ أدلَّة العلو أكثر مِن ألفِ دليل في القرآن"، واجتهد بعضُ أهلِ العلمِ في تقسيم أنواعِ الأدلَّة، فكلُّ نوعٍ يندرجُ تحتَه أنواعٌ وأفرادٌ من الدَّلائلِ، وذكرَها ابن أبي العز -رحمه

الله- في شرح الطَّحاوية أكثر من عشرين نوعًا، وقد أخذَها مِن كلامِ ابن القيم -رحمه الله- في"إعلام الموقعين"، ومن"الصَّواعق المرسلة"، و"القصيدة النُّونيَّة"؛ فقد أورد هذه الأدلة، ويمكنُ أن ترجع إليها على وجه التَّفصيلِ في شرحِ النونيَّة للهرَّاس، أو شرح النُّونيَّة لابن عيسى، وهي مفيدة جدًّا.

مِن أمثلة الأدلَّة:

ذكروا النَّوعَ الأوَّل: التَّصريح باسمه"العليّ"، فمن أسماء الله -عزَّ وجلَّ- "العليّ"، ومِن أسمائه "الأعلى" ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، و"المتعال" -سُبحَانَه وتَعَالَى.

كذلك مِن أنواع الأدلَّة: صفة العلو، وهذا واردٌ في أحاديثِ النَّبيِّ -صلى الله عليه وسلم- بكثرة.

كذلك التَّصريح بصعودِ الأشياء إلى الله -عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، والصُّعود يكون مِن أسفل إلى أعلى.

وكذلك العروج: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، فهو فوق الخلق -سُبحَانَه وتَعَالَى.

كذلك نزول الأشياء من عنده، فذكر الله -عزَّ وجلَّ- نزولَ القرآن مِن عنده في مواضعَ كثيرةٍ، كقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ٢].

وهذا يفيد مسألتين:

الأولى: إثباتُ صفة الكلام، وأنَّ اللهَ هو الذي تكلَّم به وابتدَأه.

الثَّانية: تفيد أنَّ النُّزول يدلُّ على أنَّ الله في العلوِّ -سُبحَانَه وتَعَالَى.

كذلك نصوصُ الاستواء على العرشِ التي سبقَ ذِكرُها في الأعرافِ وفي يونس، وفي الرعد، وفي الفرقان، وفي طه، وفي الحديد، وفي السَّجدة؛ سبع مواضع ذكر فيها استواء الله على عرشه -سُبحَانَه وتَعَالَى.

وهناك أنواعٌ أخرى، لكن نقتصر على هذا.

والذين نفوا العلو وأنكروه نوعان:

النوع الأول مِن نُفَاة العُلو: زعموا أنَّ الله في كلِّ مكانٍ، وهؤلاء يُقال لهم الحلوليَّة، وبعضهم أشدُّ ويسمُّون الاتِّحاديَّة، وبعضهم أشدُّ وهم أهلُ وحدةِ الوجود، ولكن قد يُتجوَّز فيُطلَق هؤلاء على هؤلاء، فالحلوليَّة والاتحاديَّة وأهلُ وحدة الوجود يقولون: إنَّ الخالق والمخلوق شيء واحد، أو إنَّ الخالق حلَّ في المخلوقات. وهؤلاء كفَّار -كما سبق- لأنَّهم وصفوا الله -عزَّ وجلَّ- بالنَّقصِ، وكذَّبوا النُّصوصَ الشَّرعيَّة الدَّالة على مُباينة الله لخلقه، وخالفوا طريقة النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم- والصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان.

النَّوع الثَّاني مِن نُفَاة العلو: يقولون: إنَّ الله ليسَ في مكانٍ، لا فوقَ العالم، ولا تحتَه، ولا يمينَه، ولا شماله، ولا أمامَه، ولا خلفَه، ولا مباينٌ، ولا مُحايِثٌ، ولا خارجٌ، ولا داخلٌ؛ وهؤلاء يُقال لهم: "المعطلة النُّفاة".

فأهلُ التَّعطيل عندهم طريقة النَّفي، والحلوليَّة عندهم الغلو في القول بأنَّ الله في كلِّ مكانٍ؛ وكلاهما عطَّل الله -عزَّ وجلَّ- عن كَمَالِه الذي وَصف به نفسه -نسألُ الله العافية والسَّلامة.

فالله -عزَّ وجلَّ- لا يجوز أن نقول في حقِّه إنَّه حالٌّ في الأمكنَةِ؛ بل نقول: هو العليُّ العظيم ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال عن الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠]، والنُّصوص في هذا كثيرة جدًّا -كما تقدَّم.

أمَّا النُّصوص الواردة في إثبات معيَّة الله لعباده، فهي على نوعين:

- **معيَّة عامَّة.**

- **ومعيَّة خاصَّة.**

فالمعيَّة العامَّة كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فمعيَّة الله لعباده ولخلقِه بعلمه وسمعِه وبصرِه وإحاطتِه وقدرته، وتدبيرِه، فاللهُ محيطٌ بهم، وليس معنى معيَّة الله لعباده أنَّه حالٌّ فيهم، فالعربُ لا تقول هذا، ومَن ادَّعى هذا على لسان العرب فقد غلِطَ، وخالفَ طريقة الرَّسول -صلى الله عليه وسلم- والصَّحابة، فإنَّ قول: ﴿مَعَكُمْ﴾ لا يلزم منه الاختلاط والحلول، ومنه قول العرب: لا زلنا نسير والقمر معنا.

هل معنى أنَّ القمر معنا أنَّه بين الأمتعة وبين الأغراض وبين الأجساد؟!

ما أحد يقول هذا، مع أنَّ القمر بينك وبينه مسافة عظيمة جدًّا.

أيضًا قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿مَعَكُمْ﴾، معناه عند العلماء: معكم بعلمه، فالله محيطٌ بكلِّ شيءٍ، ويعلمُ كلَّ شيءٍ، ولا تخفى عليه خافية، ومَن كان هذا شأنه فهو مع عباده -سُبحَانَه وتَعَالَى.

النَّوع الثَّاني مِن أنواع المعيَّة: المعية الخاصَّة، وتكون لعباده المؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، فمعيَّة الله الخاصة هنا معناها: النُّصرة والتَّأييد، والحفظ، والرِّعاية، والحماية، وغير ذلك، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ننتقل للفقرة الأخيرة في الدَّرس، قال: (وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ).

أي أنَّ الرَّبَّ أعجزَ الخلقَ عن الإحاطة به، فالخلقُ لا يحيطون بالله -عزَّ وجلَّ.

الخلق أذل وأحقر مِن أنَّهم يُحيطون بالله -عزَّ وجلَّ- وأقلُّ من ذلك الرُّوح التي بين جنبك الآن، أنت لا تدرك حقيقتها، ولا تعرف هيئتها، فكيف يتطلَّب عقلك أن يحيط بالله؟! هذا محال.

قال الله تعالى في سورة طه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فالخلقُ مهما أوتوا مِن العلمِ فلا يعلمونَ إلا الأمورَ اليسيرة جدًّا، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

(وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ)، يعني لا يحيطونَ بالله، ولكنَّهم إذا تلقَّوا ما جاءَ عن الرُّسل مِن الوحي علِمُوا ما أخبرهم الله مِن صفاته وأسمائه، لكن هذا ليس بإحاطةٍ، وإنَّما هذا علمٌ، فيُعلِّمهم الله

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، قال علماء السَّلف في تفسير ﴿بِمَا شَاءَ﴾ أي: بما بيَّنَ لعباده.

وبالتَّالي نعرفُ أنَّه لا يجوزُ أن يَظنَّ ظانٌّ أنَّه يحيطُ بالله، ويعلمُ ما لم يعلمه الله؛ كلُّ هذا مِن الشيء الذي يعجز عنه العباد، حتى الرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- قالَ النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم:«لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[١٠]، هذا وهو أعلم الخلق بالله، حتى

[١٠] صحيح مسلم (٤٨٦).

أنَّه يوم القيامة يقول: «ثُمَّ يفتحُ اللهُ علَيَّ ويُلْهِمُني مِنْ مَحامِدِهِ وحُسْنِ الثناءِ عليهِ شيْئًا لم يَفْتَحْهُ علَى أحدٍ مِنْ قَبْلِي»[11]، يعني يُعلِّمه الله -عزَّ وجلَّ- أشياءَ يحمده بها، ويكونُ هذا التَّعليمُ يومَ القِيامَة.

وفي حديثِ ابن مسعود: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»[12]، فهناك أمور استأثر الله بها.

هذا معنى (وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ)، وبالتَّالي هذا الدَّرس اشتملَ على:

- بيانِ وجوبِ الإيمانِ بالعرشِ، ومَا وصفَه اللهُ بِه في القرآنِ وفي السُنَّةِ بما وصفَه النَّبيّ -صلى الله عليه وسلم.

- الإيمانِ بالكرسيِّ، وأنَّ هذا حقٌّ، لا نُحرِّف، ولا نُؤَوِّل كطريقة المبتدعة.

- بيانِ جملةِ (وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ)، أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- لما استوى على العرشِ لا يعني هذا أنَّه محتاجٌ إلى العرشِ، فاللهُ غني عن العرشِ؛ بل العرشُ هو المحتاجُ إلى الله، وجميعُ الخلقِ محتاجون إلى الله.

- بيانِ أنَّ اللهَ محيط بكلِّ شيءٍ.

- بيانِ أنَّ الله فوقَ كلِّ شيءٍ، وإثباتِ صفةِ العلو لله —الفوقيَّة- وعلُّوهِ تعالى على عرشه، ويمكنُ أن يَرجعَ طالبَ العلمِ للكتبِ التي توسَّعت مثلَ شرح الطَّحاوية لابن أبي العز، وكذلك إثبات صفة العلو لابن قدامة -رحمه الله- وكتاب"العلو للعلي الغفار" للذَّهبي، وشرح حديث النُّزول لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وهناك رسائل أخرى لأئمَّة السُنَّة يرجعُ إليها طالبُ العلمِ حتى يستفيدَ ويعرفَ الحقَّ، ويبتعدَ عن مسالِك أهلِ البدعِ والباطلِ.

- بيانِ جملةِ (وَقَدْ أَعْجَزَ عَنِ الْإِحَاطَةِ خَلْقَهُ)، والمقصودُ أنَّ الله محيطٌ بكلِّ شيءٍ ولا أحدَ يحيط بالله.

---

[11] صححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية (٢٢٩)، ولفظ البخاري "فأحمدُ ربي بمحامدَ علَّمنيها ، ثم أشفعُ".

[12] مسند أحمد (٣٥٨٣)، صححه أحمد شاكر.

واللهُ تعالى أعلم، نسأل الله –جلَّ وعلا– أن يرزقنا وإيَّاكم العلمَ النَّافعَ، والعملَ الصَّالحَ، وأن يهدينا للتي هي أقومُ، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وباركَ على نبيِّنا محمدٍ، وعلَى آله وصحبِه أجمعين. والسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.